مراجعة كتاب: الابن الملك: الإصلاح والقمع في المملكة العربية السعودية

The Son King: Reform and Repression in Saudi Arabia
Madawi AlRasheed

باهر سليمان

في هذه المنطقة البائسة من العالم، يبدو أنّها موعودة بنموذج (اللاشيء) الذي يظهر في فترة الفراغ السياسي ويتصدّر المشهد، ليعبث بمقدرات شعبه، ويسحق هويته، ويطلق يد زبانيته ليسكتوا كل معترِض على تلك الأوضاع المخزية، أنّه النموذج الأتاتوركي الذي تكلّم عنه بعض المحللين الغربيين وهم يأملون في " الابن الملك" محمد بن سلمان أن يحذو حذوه، ويطلق العنان لليبرالية الاستبدادية، فهم يؤمنون أنه لن يسحق العرب إلا الأنظمة المستبدة. كتبت مضاوي الرشيد هذا الكتاب لكشف تلك الحالة الجديدة على المملكة العربية السعودية، ورغم أنّ مضاوي علمانية معروف عنها من أمد معاداتها للوهابية وآل سعود، إلا أنّها توجه النقد لذلك الانفتاح السعودي ولا ترحّب به شأن كل ليبرالي عنده ذرة من ضمير لا يقبل بنشر المعرفة الليبرالية تحت السياط والخوف والترهيب، خصوصًا عندما تكون ليبرالية فارغة، خالية من المعنى.

من لحظة مقتل الصحفي السعودي جمال خاشقجي تنطلق مضاوي لتكشف ملابسات المشهد السعودي الصاعد على يد محمد بن سلمان، الذي دفع ملايين الدولارات لرشوة السياسيين والصحفيين وتمويل بعض الأكاديميات الغربية ليظهر بمظهر الليبرالي المنفتح، بات مشهد تورُّطه في قتل خاشقجي صادمًا لكل من رأى في الرجل داعية الليبرالية الجديد في أرض الحرمين، ومع ذلك رأى هؤلاء الأكاديميون والنقاد الإعلاميين وصانعي السياسات أنّ

إصلاح الاقتصاد والمجتمع السعودي هو بالضرورة عمل عنيف يجب أن ينفذه شخص استبدادي، كان مقتل خاشقجي وفق مضاوي مجرد نتيجة لأجندة عدوانية مفرطة القومية، الغرض منها تعزيز سلطة الأمير المعين حديثًا والذي يبدو أنّه لا يتمتع بالإجماع بين عائلته، فأطلق يد البطش، وأنشأ شبكة من العملاء على " تويتر" هدفها جمع بيانات عن المعارضين والتبليغ عنهم، وقام بسجن العديد من سجناء الرأي، وظهرت حالات الاختفاء القسري والإعدام وقطع الرؤوس، ووفق مضاوي بدأ السعوديون في الفرار من البلاد بأعداد كبيرة. فقد قاد حملة كبيرة ضد الإسلاميين والنسويات والمعارضين من آل سعود أنفسهم.

ترصد مضاوي ملامح الصعود المفاجىء لولي العهد وسياساته التي أدت إحداها إلى مقتل خاشقجي في الفنصلية السعودية في إسطنبول. فتؤكِّد على أنَّ خاشقجي كان مؤيدًا للمملكة في عهد الملك السابق للسعودية وهو الملك عبد الله، بل حاول تلميع الصورة السيئة للسعودية في الدوائر الغربية، لكن مع عهد سلمان، وتصعيد ولي العهد محمد، وانتهاج سياسة قمعية شملت أقارب وأصدقاء خاشقجي، تحوّل الرجل لنقد النظام السعودي، وفق مضاوي، كان خاشقجي يمثِّل صندوقًا أسود للنظام السعودي، فبات يُنظر إلى خاشقجي بوصفه يمثِّل تهديدًا للنظام السعودي؛ نظرًا لمعرفته الداخلية بالنظام السعودي بعد عقود من العمل في خدمة هذا النظام.

ترى مضاوي أنّ جريمة قتل خاشقجي يجب أن تفهم في سياق السياسة المتشددة لولي العهد التي تهدف إلى إسكات المعارضين ونشر الخوف باسم حماية الوطن والدفاع عنه. لا يفعل ولي العهد ذلك إلا عبر أدواته الشعبوية، كان " **سعود القحطاني**" أحد هذه الأدوات، فقد مارس بنص مضاوي في الكتاب " البلطجة" باسم الوطن. دعا القحطاني الشعب لوضع قائمة باسم الخونة لتصفيتهم، وروَّج لفكرة **المواطن المخبر** للدفاع عن الأمة. هذه كانت أدوات الأمير لإعادة السعودية إلى ما أطلق عليه إسلامها الأصلي المعتدل الذي أفسدته الصحوة. في الحقيقة كان العكس هو الصحيح تمامًا، فلم يكن ولي العهد محمد بن سلمان ينشر الإسلام

المعتدل، ولكن **القومية الشعبوية** للتغطية على سياساته المثيرة للانقسام، وكانت شعارات " المملكة العربية السعودية للسعوديين" و " السعودية أولًا" هي هاشتاج شعارات القومية السعودية الجديدة.

لرواج الشعبوية القومية كان عليه بدايةً أنّ يحول الشباب السعودي إلى أبطال لهذه القومية الجديدة، فيعدهم بفرص عمل أفضل، ووهم التحديث الليبرالي، وفق مضاوي قدّم بن سلمان للسعوديين الخبز والسيرك، ومن ناحية أخرى كان على يقين أنّه لن تُولد هذه الأمة الجديدة إلا بالقضاء على منابع ما ظنه قد قاد المملكة إلى التطرف وهي " الصحوة" ، وبالتالي شنّ حملة واسعة ضد علماء الدين والإسلاميين من رجال الصحوة. من ناحية أخرى كان عليه إيجاد سردية وطنية، وكما تقول مضاوي أنّ حكايته حول هوية السعوديين لا تخلو من متناقضات، لكن عامة كان عليه حشد الحس القومي، إما بالتحريض على الحوثيين وإما بالتحريض ضد إيران. إنّ القومية السعودية التي يروج لها ابن سلمان تريد عزل السعوديين عن القضايا العربية لاسيما الفلسطينية من أجل التطبيع مع إسرائيل، لكن السعودية تفتقد لأيديولوجيين قوميين ينظِّرون لتلك القومية المتخيّلة.

تستكشف مضاوي التنوع القبلي والعرفي والإقليمي والديني لسكان المملكة بما يُظهر تحديات لا تلتفت لها سرديات الإدماج القومي، مثل تنوّع المجموعات القبلية السعودية التي ساهمت في الأساس في نشأة الدولة. يعتبر كل من " **سعود القحطاني" و " أحمد عسيري"** من مساعدي ابن سلمان الذين يستخدمون أسماء قبائلهم. إنَّ القبلية المستمرة في المملكة – وفق مضاوي- هي من وظائف الدولة. في عام 2017 استخدمت المملكة المجموعات القبلية في تأليف شعر بدوي للتقليل من نسب أمير قطر. بشكل عام القبلية هي خطاب مناقض للقومية، حيث من شظاياها تحاول الدولة السعودية بناء القومية الجديدة.

في أحيان كثيرة تمتزج رؤية مضاوي بمزاجها الليبرالي في المسائل الحقوقية المتعلّقة بالمرأة وحقوقها على وجه الخصوص، بل هي أحيانًا تبدو مدافعة عن علاقات مريبة مثل علاقة

موظف بريطاني في المملكة بفتاة سعودية، وهي العلاقة التي تطورت إلى منطقة خطيرة. هي بشكل عام تقف مع المرأة السعودية ضد ما تراه بالسلطة الأبوية. **ما يهمني في نقد مضاوي ليس ذلك الجانب الذي أختلف فيه أيديولوجيًا مع مضاوي، وإنما ما يهمني هو جانب الفساد الإداري والسياسي تحت مظلة الإصلاح السعودي وهو ما ترصده بدقة.**

في نهاية الكتاب تحدَّثت مضاوي عن الشباب السعودي الذين فرّوا خارج بلادهم هربًا من الاستبداد، هؤلاء كما ترى مضاوي يمثّلون الشتات السعودي، لقد هربوا لأنهم ببساطة **"كانوا يخشون القمع"** لاسيما مع سهولة استفزاز النظام السعودي بأقل شيء مثل تويتة لتصبح عدوًا للنظام. **إنّ مستقبل النظام السعودي قاتمًا** في نظر مضاوي في ظل إسكات المعارضين والتخوين الحاصل لمن ينقد سياسات ولي العهد مثل تعويم أرامكو أو الحرب على اليمن . الكتاب جيد جدًا، كان بحاجة فقط للتركيز بشكل أكبر على ولي العهد كما في عنوان الكتاب.

اقتباسات

- ومن السمات المهمة الأخرى في المملكة العربية السعودية الناشئة اعتمادها منذ البداية على دعم القوى الخارجية ولم يعد حكام السعودية بريطانيا قوة استعمارية قط أو قوة محتلة ،وفي الواقع ،كانوا يعتمدون على بريطانيا إلى درجة أن "قوات الإخوان الأكثر ولاء" لهم بدأت في الشك في تلك العلاقة في عام 1927وواجه الإخوان زوالهم على يد بريطانيا التي سلمتهم إلى ابن سعود ،لعب البريطانيون دورًا بارزًا ليس فقط في تسمية المملكة العربية السعودية ،ولكن الأهم من ذلك في دعمها في الأوقات الصعبة وهذه العلاقة التاريخية يعتز بها الجانبان ولا تزال كذلك حتى يومنا هذا ،حيث تعد بريطانيا ثاني أهم مصدر للأسلحة إلى المملكة بعد الولايات المتحدة الأمريكية.

- أنشأ النظام السعودي بقيادة ولي العهد مزارع تويتر خاصة لرصد المعارضة وبناء بنك بيانات عن المعارضين .ودعا العديد من مساعديه المواطنين للمساعدة في وضع قائمة بالأصوات التخريبية على الإنترنت ووعدوا بإسكاتهم إلى الأبد حيث يطلق عليهم اسم الخونة الذين يجب أن يعاقبوا من أجل الوطن .تم سجن السعوديين الصغار والكبار لمجرد أنهم تجاوزوا "الخطوط الحمراء ،"وهي تهمة شائعة ضد أولئك الذين انتقدوا الملك أو الأمراء رفيعي المستوى ،أو ببساطة عرضوا آراء جديدة حول السياسات التي أدخلها ولي العهد حديثًا.

- كان إدخال الترفيه بلاشك من عمل المستشارين الأجانب الذين عملوا ضمن الإطار النيوليبرالي ،وردًا على عقود من الاتهامات بأن ّالمملكة العربية السعودية كانت تفرض نظامًا دينيًا صارمًا على مواطنيها المعاصرين، ويعتقد أن ّالقيود السابقة ساهمت في تربية الإرهاب .ومن هنا أراد ولي العهد التخلي عن ذلك الماضي و إغراق السعوديين بسرعة في الترفيه ،كوسيلة لصرف الانتباه عن السيطرة الاجتماعية والدينية السابقة ،وفي حين أن ّالترفيه جزء من تنويع الاقتصاد ،فإنه مع ذلك يشكل مصدر إلهاء كبير عن الأفكار والتطلعات الأكثر إلحاحًا .لقد تم بيع وهم الحرية في السيرك للسعوديين ،في حين يجمع الأمير دخلًا جديدًا ويضمن أن يستبدل رعاياه شعائرهم الدينية بالانحطاط المشروع.